أسباب وعوامل انحراف الأحداث (قراءة سوسيولوجية)

Causes and Factors of juvenile delinquency and prentive measures (Sociological reading)

فاطمة الزهراء بوروشة [1]، فوزية ساحي [2]

[1]جامعة لونيسي علي البليدة2 (الجزائر)،bourouchafzohra@Gmail.com

[2]جامعة لونيسي علي البليدة2 (الجزائر)، sahifouzia@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2020/06/17 تاريخ القبول: 2023/06/07 تاريخ النشر : 2023/06/18

الملخص:

تعتبر ظاهرة الانحراف عن السلوك السوي مشكلة يعاني منها العالم برمته، كونه ظاهرة اجتماعية خطيرة تخرج بالفرد أو الأفراد المنحرفين عن معايير المجتمع وقيمه، حيث المعطيات تشير إلى تزايد في معدلاتها، وما ينتج عنها خاصة إذا ما تعلق الانحراف بالأحداث الذين يشكلون عماد المجتمع، وتهدف هذه الدراسة إلى تفسير عوامل الانحراف من خلال القراءة السوسيولوجية لأبرز نظريات علم اجتماع الجريمة من أجل معرفة أسبابها والعمل على وضع سبل الوقاية منها.

الكلمات المفتاحية: الانحراف، الحدث، العوامل البيولوجية، العوامل النفسية، العوامل الاجتماعية.

Abstract:

The phénomène of déviation frome normal bavoir Is considère a problème That the entier world souffres frome, as It Is a Dangerous phénomène That dérives frome the individuel or individuels déviation frome society standards and values, as théier rates incérasse Daily and théier résulte, especially if It Comes to évents That constitue the pillard of society, and This stade amis to explant the factor of déviation Th rough a sociologisa Reading of the Most proéminent théories of sociologie of crime, in ordre to know itsa causes and wok to develop ways to prevent it.

Key words: delinquency, juvenile, biological factors, psychological factors, sociological factors.

المؤلف المرسل: الاسم فاطمة الزهراء بوروشة، **الإيميل:**bourouchafzohra@gmail.com

1. مقدمة:

أصبحت ظاهرة الانحراف والجريمة في الفترة الأخيرة التي تحول فيها العالم إلى قرية صغيرة بسبب التقدم التكنولوجي السريع وانتشار وسائل الاتصال ظاهرة خطيرة جديرة بالرصد والدراسة والتحليل خاصة إذا ما تعلق الانحراف بالأحداث الذين يشكلون عماد المستقبل للمجتمع، كما أن الانحراف في مرحلة الصغر يشكل خطورة على المجتمعات ذلك أن الحدث المنحرف قد يكون هو مجرم الغد، حيث إن احتراف الجريمة لا يأتي فجأة أو من فراغ وإنما يلزمه دائما الاعداد والممارسة والتدرج وقلما يتحول انسان سوي بين عشية وضحاها ليصبح مجرما متمرسا يتخذ من الجريمة وسيلة للعيش والارتزاق دون أن يكون له تاريخ اجرامي منذ الصغر تمرس من خلاله على السلوك الاجرامي. وبطبيعة الحال فإننا نقول أن الحدث المنحرف ليس بالضرورة أن يكون مجرما في المستقبل القريب، وإنما قد يكون الانحراف في الصغر مؤشر لبوادر اجرامية تستمر مع الشخص طوال حياته إذا لم يجد التوجيه السليم من الراشدين حوله.

وتتعدد وجهات النظر المتعلقة بتفسير السلوك المنحرف بتعدد التخصصات العلمية، ولهذا فإن كل تخصص يرى أسباب الانحراف من جانبه الخاص، وبما أن الدراسة الحالية تهدف إلى تفسير الأسباب الحقيقية والعوامل المؤدية إلى انحراف الأحداث، وذلك من خلال القراءة السوسيولوجية لأبرز نظريات علم اجتماع الجريمة التي تفسر ظاهرة الانحراف كشكل من أشكال السلوك الاجرامي كلا بحسب الاتجاه الذي ينتمي إليه، فقد اجتهد رواد المدرسة البيولوجية إلى دراسة الانحراف والجريمة من خلال ربطها بالوراثة، أما مدرسة التحليل النفسي التي ركزت على الغوص في مكونات النفس البشرية لتحديد العوامل النفسية التي تؤدي إلى الانحراف، فيما ذهب أنصار المنظور الاجتماعي إلى دراسة العوامل الخارجية والبيئية التي يعتقد أن لها دور في بروز ظاهرة انحراف الأحداث.

فما هي الأسباب الحقيقية والعوامل المؤدية إلى انحراف الأحداث؟

وماهي النتائج المترتبة عن السلوك الانحرافي، وما هو التصور الوقائي لتقليص حجم ظاهرة الانحراف؟

1.1 . أهمية الموضوع

تبرز أهمية الدراسة في كونها تعالج موضوع حيوي وهام وهو موضوع الانحراف كنمط من أنماط السلوك الاجرامي خاصة فيما يتعلق منه بانحراف الأحداث حيث أن الاهتمام بالمجرم في الصغر وتداركه بالعلاج قبل أن يتمادى في السلوك الانحرافي وبالتالي يتحول إلى مجرم محترف يهدد أمن المجتمع، كما تبرز أهمية الدراسة من خلال القراءة السوسيولوجية لأبرز نظريات علم اجتماع الجريمة المفسرة للانحراف والوقوف على العوامل الكامنة للانحراف من خلال الالمام بحيثياتها وتفسيرها والوقوف على أسبابها، وبناء تصور وقائي للحد منها.

2.1. أهداف الموضوع

– وصف ظاهرة انحراف الأحداث وتشخيصها وتحليلها تحليل سيسيولوجيا على ضوء فحوى نظريات علم اجتماع الجريمة.

– وضع المحددات الأساسية للانحراف من خلال موضوع هام وحيوي.

– استعراض أبرز نظريات علم اجتماع الجريمة المفسرة للانحراف، والوقوف على الاتجاهات المختلفة للمنظرين في فهم السلوك الانحرافي ووصف المنحرف وتشخيصه.

– استعراض بعض الحلول الوقائية للمساعدة في تقليص حجم ظاهرة انحراف الأحداث.

2. تحديد المفاهيم:

1.2. تعريف الانحراف.

أولا: التعريف اللغوي للانحراف.

الانحراف هو الميل والعدول يقال انحرف عنه وتحرف واحرورف أي مال وعدل. وحرف الشيء عن وجهه أي صرفه وإذا مال الانسان عن شيء يقال انحرف. وانحرف بمعنى مال (سليمان العيد، 1421هـ، صفحة 298).

ثانيا: التعريف الاجتماعي للانحراف:

هو كل سلوك يخالف المعايير الاجتماعية وفي حالة تكراره بإصرار يتطلب تدخل أجهزة الضبط الاجتماعي (الدوري عدنان، 1991).

ثالثا: التعريف القانوني للانحراف.

الانحراف هو كل ما من شأنه الحاق الضرر بفرد أو جماعة من الأفراد في المجتمع (نعامة سليم، 1985).

رابعا: التعريف الاجرائي للانحراف:

الانحراف هو كل سلوك يرتكبه الشخص مخالفا للأعراف والتقاليد والقيم في المجتمع الذي يعيش فيه، ويتسبب في الحاق الضرر المادي أو المعنوي للآخرين مما يستوجب تدخل السلطات الرسمية لإيقافه.

2.2. تعريف الأحداث:

أولا: التعريف اللغوي للأحداث:

الحدث في اللغة العربية هو " الشاب" (علي بن هادية وآخرون، 1979، صفحة 200)، كما هو حديث السن والفتي وجمع الحدث هو الأحداث، وفي اللغة الفرنسية(Mineur) هو الشخص الذي لم يبلغ سن الرشد (robert paul, 1982, p. 204)، ويقصد به عدة معان ومنها حداثة السن كناية عن أول العمر (محمد الرازي، 1401ه).

ثانيا: التعريف النفسي والاجتماعي للأحداث:

هم الأطفال منذ ولادتهم حتى نضوجهم الاجتماعي والنفسي واكتمال لديهم عناصر الرشد المتمثلة في الادراك التام أي معرفة الانسان لصفته وطبيعة عمله والقدرة على تكييف سلوكه وتصرفاته طبقا لما يحيط به من ظروف ومتطلبات من الواقع الاجتماعي (محمد سند العكايلة، 2006، صفحة 54).

ثالثا: التعريف القانوني للأحداث:

الأحداث حسب نظر القانون هم الصغار في السن الذين وصلوا سن التمييز ولم يبلغوا سن الرشد (محمد السيد أبو النيل، 1998، صفحة 51)، إلا أن القوانين تختلف في تحديد الحد الأدنى للحادثة والحد الأعلى وهذا الاختلاف راجع إلى عوامل طبيعية وثقافية واجتماعية.

أما في قانون الاجراءات الجنائية في الجزائر لسنة 1966، فالحدث الجانح هو الشخص الذي تحت سن 18 سنة، ويرتكب فعل خارج عن القانون (علي مانع، 1996).

كما يطلق عليها مصطلح جرائم الطفولة (عبد المجيد لبصير، 2010).

رابعا: التعريف الاجرائي للأحداث:

الأحداث أو الحدث هو كل شخص أتم عمره 13 عشرة ولم يتم الثامنة عشرة ذكرا كان أو أنثى وهذا ما تعارف عليه وما نص عليه قانون العقوبات الجزائري.

3. أشكال الانحراف عند الأحداث:

تعتبر المرحلة العمرية التي يمر بها الأحداث مرحلة مهمة في تكوين شخصيتهم على اعتبار أنهم يرغبون في تحقيق استقلالية ولو نسبية عن أسرهم، بمعنى يحاولون اكتشاف العالم من حولهم بطريقتهم الخاصة معا يوقعهم في بعض الأحيان في مواقف أو سلوكيات قد يرفضها المجتمع ويقعون حينها في الانحراف والجريمة، لكن هذه الأخيرة في عمومها تختلف عن تلك التي تصدر عن الكبار.

وهذا ما يميز أشكال وصور الانحراف والجريمة عن الأحداث وفيما يلي سندرج بعضها بغية إعطاء لمحة عنما هو موجود فعليا بواقع هذه الفئة:

1.3. جريمة السرقة: وهي من أخطر الجرائم وأكثرها شيوعا، منها ما هو بسيط كسرقة السلع الاستهلاكية من الدكاكين والمخازن وبعضها خطير ككسر أقفال البيوت، تحطيم زجاج النوافذ وسرقة النقود والحلي وأجهزة الراديو والتلفزيون...الخ

3. 2. تكوين جماعة أشرار: فغالبا ما تكون الجرائم من طرف الأحداث في جماعة، وخاصة عند ارتكاب جريمة السرقة

3. 3. الضرب والجرح ألعمدي: يعبر الأحداث أحيانا عن فورة غضبهم بالضرب والتعدي على الغير.

4.3. حيازة السلاح: وهذا النوع أو الشكل من الانحراف في الغالب هو تقليد للعنف المشاهد بالتلفزيون سواء بالرسوم المتحركة أو أفلام العنف من نوع Action.

3. 5. تعاطي المخدرات والكحول: يلجأ الأحداث إلى هذا السلوك هروبا من واقعهم اليومي والعوائق التي تعترضهم، وفي الغالب يكون هذا التعاطي برفقه جماعة إما بمنطقة السكن أو المدرسة، الشارع ...الخ.

3. 6. الفعل المخل بالحياء: ويعد هذا الفعل من أخطر الجرائم التي يرتكبها الأحداث خاصة في المرحلة العمرية التي يمرون بها بالرغم من أن عقوبة هذا الفعل اشد قسوة من الجرائم الأخرى، وسيسيولوجيا يمكن قراءة هذا السلوك بالأثر السلبي الذي يتركه النسق الإعلامي بذل مؤسساته، إضافة إلى غياب الرقابة الوالدية على الأبناء الأحداث، خاصة في

حالـة غيـاب الـوعي مـن طـرفهم (الأوليـاء) بخطـورة الوضـع وتقليـدهم كمـا ترفضـه الأسـرة والمجتمع كل معاييره (عيمر زهيرة، 2012، صفحة 41).

4 . أسباب انحراف الأحداث:

- وفاة الأب وعدم قدرة الأم على الرعاية السليمة.
- التفكك الأسري.
- انخفاض المستوى التعليمي للوالدين
- رفقاء السوء.
- ترك الدراسة وكثرة وقت الفراغ.
- عدم متابعة الأبناء لأبنائهم.
- جهل الوالدين بأساليب التربية
- مرحلة المراهقة وما يصاحبها من تغيرات
- وفاة الأم وانشغال الأب.
- الدلال المفرط
- كثرة المشاكل بين الأم والأب.
- الدلال المفرط.
- كثرة المشاكل بين الأم والأب.
- عدم التمسك بأوامر الدين ونواهيه.
- انخفاض المستوى الاقتصادي للأسرة.
- التفرقة في معاملة الوالدين.
- وجود أخوة غير أشقاء في البيت
- تركيز التربية على البنات واهمال الأولاد.
- حرمان الطفل من الحب والحنان في طفولته
- اعطاء الحرية الكاملة في اختيار الأصدقاء.
- الطلاق وانفصال الوالدين
- عدم مناقشة الأبناء في المشاكل التي يمرون بها.
- حاجة الحدث للاطمئنان النفسي.

- ضعف الرعاية الاجتماعية في المدرسة.
- التفكك في العلاقات الاجتماعية بين الأقارب.
- مشاهدة الطفل للأفلام وقراءة المجلات الهابطة.
- قلة الأندية والوسائل الترفيهية.
- كبر حجم الأسرة.
- الحي السكني المزدحم وضعف الخدمات.

5. النظريات المفسرة لجنوح الأحداث: (قراءة سوسيولوجية)

لقد تعددت أنضار العديد من العلماء والمفكرين في ميدان علم النفس وعلم الاجتماع في تفسير السلوك الانحرافي، وقد تباينت أوجه النظر لديهم وفسروا ظاهرة الانحراف والجنوح كلا بحسب الاتجاه الذي ينتمي إليه فمنهم من يرى أن السلوك الانحرافي تدخل فيه العوامل البيولوجية واعتبرت الجنوح والجريمة سلوكا فطريا وموروثا، ومنهم من فسرها على أساس المجرم نفسه وتحليل الذات واعتبر الجريمة ذات سبب نفسي محظ، وآخرون يعتبرون السلوك الجانح ناتج عن العديد من الظروف الاجتماعية والبيئية وهذه أوجه النظر المختلفة في تحليل الجنوح عند الأحداث :

1.5. النظرية العضوية البيولوجية:

اهتم علماء الوراثة بدراسة مشكلة الجنوح وانتجت بحوثهم ما يعرف باسم النظرية البيولوجية وهي نظرية تهتم بربط السلوك المنحرف بعامل الوراثة، وترى هذه النظرية أن السبب الرئيسي للجريمة والانحراف هو وجود صفات أصلية فطرية في الفرد تأتيه بالولادة، وأن ميوله واتجاهاته العدوانية تصل إليه من أبويه وأسلافه.

ويمكن القول أن أصول هذه النظرية تعود إلى " سيزار لومبروزو " الذي وضع مجموعة من الخصائص البيولوجية التي يرى أنها يتميز بها الشخص المجرم من غيره وخلاصة فرضياته في تفسير السلوك الاجرامي أنه اتجه اتجاها بيولوجيا حيث ارجع الأسباب إلى تطورات أنثروبولوجيا معينة، وقد أكد على الحتمية البيولوجية حيث اعترف بقوة تأثير هذه الأسباب ويعتقد " لمبروزو " بأن الجريمة ظاهرة حتمية مستمرة رغم جهود السلطات المختصة لعلاجها أو القضاء على أسبابها أو الوقاية منها ومع ذلك فلم يهمل شأن بعض العوامل الأخرى التي تأثر على حالة بعض المجرمين أو تلك التي تقوم مقام الأسباب

العضوية في بعض أنواع الجرائم ومن هذه العوامل درجة الحرارة ولها تأثير على المجرمين، والجرائم النفسية ومن هذه العوامل أيضا ظاهرة الكحولية ولها بعض التأثير على جرائم القتل والايذاء، وقد أضاف " لومبروزو " عامل العنصر وبين أثره على جرائم الدم في أنحاء ايطاليا (سامية محمد جابر، 1981، صفحة 23).

ومن رأي " لمبروزو" أن الأسباب العضوية تتدخل في السلوك الانحرافي بنسبة تتراوح من 35 % إلى 45% والجريمة عند " لمبروزو " هي استعداد حيواني مورث يدفع الانسان إلى ارتكاب الجرائم والانحرافات المختلفة تحت طائلة حتمية بيولوجية حيوانية لا يستطيع دفعها عن نفسه.

إن الدراسات الأنثروبولوجيا التي أقيمت بجامعة " هارفرد " في الولايات المتحدة الأمريكية كانت تتحدث جلها نحو محاولة الكشف عن العلاقة بين الانحراف السلوكي والعوامل البيولوجية وقذ كشف " هوتون " أن المنحرفون يتميزون بانحطاطية بيولوجية ورثها وهي التي اتخذت منها تسمية هذه الدراسة باسم نظرية انحطاطية بيولوجية، فهو يرى أن المنحرفون يحملون بدور الانحراف في تكوينهم الجسمي وبذلك تولدت لديهم القابلية للانحراف وتركز نظرية " لومبروزو " على محور الحتمية البيولوجية بشكل واضح، ولأجل ذلك تعارض التفسير الكلاسيكي الذي يقوم على حرية الإرادة ومذهب المنفعة وينكر وجود الجبرية الاجتماعية كما ينكر اعتبار السلوك الاجرامي ظاهرة اجتماعية تنشأ عن عملية التقليد، وقد توصل " لومبروزو " إلى بعض الخصائص الجسمانية المعينة مثل: (اختلاف حجم وشكل الرأس، وعدم تشابه وانتظام نصفي الوجه وبعض التشوهات في العينين، مع كبر زائد في أبعاد الفك وعظام الوجنين وضخامتها وكبر زائد في حجم الأذنين أو بروزهم مع طول زائد في الدراعين...) (سامية محمد جابر، 1981، صفحة 23).

لقد كانت هذه النظرية السباقة في طرح مسألة الجريمة والسلوك الانحرافي بجدية نظرا لكون الجريمة كان ينظر إليها من قبل نظرية ميتافزيقية وتأويل في العديد من الحالات تأويل لاهوتي، بعيدا كل البعد عن الموضوعية والعلمية، وأصبح ينظر للانحراف على أنه ظاهرة مرضية تهدد المعايير والنظم الاجتماعية المتفق عليها، كما ساهمت هذه النظرية في وضع العديد من التصنيفات للمجرمين والجرائم، كما حاولت كذلك اعطاء تفسير علمي لظاهرة الانحراف وهذا بالرغم من كونها بقيت سجينة الطرح الأحادي، إذا أعطت للعامل

الوراثي –البيولوجي – أكثر ما يستحق من دور وقيمة في تفسير أسباب انتشار السلوك الانحرافي وأهملت العديد من العوامل الأخرى وهذا ما تفطن إليه بعض أنصار العلامة " لمبروزو " إلا أنهم لم يفلحو من هيمنته في حدوث الجريمة والانحراف، وهذا ما كلفهم العديد من الانتقادات، إلا أنها تبقى هذه النظرية (البيولوجية أو الوضعية) حلقة من أهم الحلقات في مسيرة الدراسات العلمية للجريمة والانحراف.

2.5. النظرية السيكولوجية.

تتجه أنظار المفكرين والمحللين النفسانيين حول تفسير السلوك الانحرافي أن هذا السلوك يمكن رده إلى مفارقات تتعلق بالفاعل ذاته حيث تكوين شخصيته أو منظورته أو أهدافه أو مصالحه أو حاجاته أو دوافعه.

ويعتبر علماء النفس السلوك الانحرافي في ضوء العوامل والمتغيرات السيكولوجية مثل الغرائز والدوافع الشعورية واللاشعورية بالصراع النفسي العميق والقلق والانفعالات وكذلك التكوين النفسي مثل: الميل إلى التخريب واحتقار الآخرين، كي يقوم التفسير السيكولوجي للانحراف والجريمة على أساس أن الاضطرابات المختلفة المتمثلة في الاختلاف الغريزي والأمراض النفسية أو العواطف المخرقة قد ينجم عنها سلوك مضاد للمجتمع (جمال معتوق، 2008، صفحة 130، 131).

وقد نشأت مدرسة التحليل النفسي بزعامة العالم النمساوي " فرويد " (1856–1939) وفي ضوء هذه الدراسة فكل فعل انساني يهدف إلى تحقيق غرض معين، وبالتالي فلابد لتحليل ظاهرة الانحراف من البحث عن العوامل الدفينة في قرارة النفس، وفي هذا المعنى يرى " فرويد " أن السلوك الاجرامي محدد بقوة داخلية داخل كينونة الفرد لذلك لا يوجد سلوك لا معنى له ومن مميزات هذه النظرية أنها تؤمن بالديناميكية ولنفهم الشخصية يجب التعرف على مكوناتها الثلاثة وهي:

1.2.5. الذات الدنيا (النفس):

وهي مجموعة النزاعات الغريزية والميول النظرية لدى الفرد والتي تحاول أن تجد إشباع لها بأي شكل دون أن تعطي اعتبارا للقيم أو المثل، وهي تكمن في اللاشعور، ويطلق عليها "فرويد " كلمة الهو.

2.2.5. الأنا (العقل):

وهي التي تحاول أن تكيف الميول والغرائز السابقة بما يتفق والظروف الاجتماعية المحيطة بالفرد فتكبح جماع الذات الدنيا.

3.2.5. الأنا العليا (الضمير):

وهو عبارة عن القوى الرادعة المستفادة من تعاليم الدين والقواعد الأخلاقية، والضوابط الاجتماعية التي اصطلح الناس على احترامها ومراعاتها، فهي الجانب المثالي للنفس البشرية، وهي أيضا تراقب حركات العقل نحو اشباع نزعات النفس بحيث يتوصل إلى درجة اشباع كل رغباته عن طريق السلوك الهادئ المشروع، وعموما فهي تنتقد الأنا إذا ما خضعت لنفس البشرية (نظير فرج مينا، 1985، صفحة 71).

وبذلك فإن سلوك الفرد يتوقف بمدى العلاقة بين الأقسام السابقة للنفس الانسانية فتكون السلوك الاجرامي والانحراف إذا تغلبت الشهوات والميول الفطرية حيث تشعر الأنا بالذنب ويظل هذا الشعور يطارد الأنا بالذنب ويلح عليها إلى درجة قد تدفعه إلى ارتكاب السلوك الانحرافي، وتقوم نظرية " فرويد " في السلوك على أنه محاولة من جانب الأنا للوصول على الأقل إلى هدفه يبين الهو وعالم الواقع الطبيعي والاجتماعي.

وعليه فإن الانحراف ليس مرده غياب القيم والوعي الاجتماعي وإنما يعود إلى قمع وتسلط الأنا (جمال معتوق، 2008). ويتطلب النمو السليم للفرد ورفع الأنا إلى الدرجة التي يستطيع فيها التوفيق بين الدوافع وعالم الواقع والانا العليا وفي ضوء هذه النظرية تكون الشخصية تعبيرا عن أنماط السلوك المميزة والتابعة نسبيا والتي يكون الفرد في حياته فليست الشخصية محصلة البيئة الحاضرة فقط ولكنها أيضا نتاج المواقف المتعددة الماضية التي تعين على الفرد التوافق معها وينتج الانحراف عن ضعف في تكوين الشخصية أي الأنا (عبد الرحمان العيسوي، 1984).

والسلوك الانحرافي يعبر بطريقة رمزية عن العقد النفسية التي تكونت في الطفولة بطريقة لا شعورية فحالات السرقة القهرية ترمز إلى انتزاع الحب والحصول على العطف في صورة الشيء المسروق، كما أن الانحراف بسبب عقدة ناتجة عن حب الفرد لأمه لا شعوريا، ذلك الحب الجنسي الذي يمنع تحقيقه تقاليد المجتمع وثم يسبب للطفل اضطرابات وضيق نفسيا نتيجة كبت عنيف لتلك الرغبة الشهوية الجامحة المكبوتة والتي ينفس عنها بالسلوك

العدواني خصوصا بسرقة ممتلكات الغير حيث تعوضه عن الفرد الذي لم يتمكن من تملكه وهو أمه (ناصر ميزاب، 2005، صفحة 107).

وعليه فإن الانحراف أو المرض النفسي أو العقلي عند التحليلين ترجع إلى الصراع الدائم بين الهو والانا الأعلى في الطفولة المبكرة نتيجة للتضارب بين التكوين البيولوجي والغرائز الفطرية من جانب ومطالب البيئة من الجانب الآخر، فمعنى ذلك أن هناك ضعف الأنا وعدم قدرته على أن يوفق بين نزعات الهو والواقع أي ليس هناك أنا قوي يقمع ويأجل الاشاعات، وليس هناك أنا أعلى قوي على كبت النزاعات ولقد وجد التحليليون أن الحرمان من الأم يلعب دورا في عدم نمو الأنا، كما أن اضطراب نمو الأنا الأعلى يساعد على الانحراف معنى ذلك أن القيم غير واضحة ومكونات الأنا الأعلى تافهة، بل يصبح هناك علاقة مؤكدة بين الأنا والانا الأعلى، وفي ضوء ذلك يفسرون السلوك الجانح باعتباره اعراضا لا شعوريا لإشباع نزعات جنسية أحيانا وعدوانية أحيانا أخرى، فوجدوا أن الانضمام للعصابات فيه اشباع للحاجة الجنسية السلبية المكبوتة، كما وجد أن الشعور بالذنب والرغبة في تأنيب الذات وعقابها قد يكون أحيانا سببا في الانحراف يعرض الفرد نفسه للعقاب ليخفف من توتر الشعور بالذنب.

أما أهم الانتقادات التي وجهت لهذه النظرية أنه ليس صحيحا أن ضعف الضمير أو الأنا الأعلى يقودان دائما إلى طريق الجريمة والانحراف، فمن الناس من يضعف صوت الضمير لديهم ومع ذلك لا يقومون بسلوكيات غير سوية ، فضلا عن أن انعدام أو ضعف الضمير لا يصلح لتفسير الجرائم العاطفية التي كثيرا ما يحتل ضمير فاعلها مكانة عليا ويقود منطق هذه النظرية من ناحية أخرى إلى وجود تمييز الشخص المجرم بالفضاضة وغلظة القلب ونبذ العواطف تماما وهو ما لم تثبت الأبحاث صحته.

كذلك تستخدم مدرسة التحليل النفسي عبارات وتفسيرات علمية معقدة غير واضحة احيانا بالإضافة إلى أنه قد يتعارض البعض مع البعض الآخر.

إن القول أن الشخصية تتكون من ثلاثة أجزاء وهي الهو، الأنا، الأنا الأعلى هي مسألة جدلية وقابلة للنقاش.

إلا أنها رغم هذه الانتقادات وغيرها تبقى مدرسة التحليل النفسي حاضرة في الساحة العلمية وخاصة عند محاولة فهم أو تفسير سلوك الفرد عامة ولانحرافي خاصة ، وهذا لما يمكن أن تقدمه للباحثين من أوات علمية ومنهجية لا يستهان بها.

3.5. النظرية الاجتماعية:

لقد ركز أصحاب هذا الاتجاه أساسا على جهود علماء الاجتماع في دراسة الانحراف كظاهرة اجتماعية، تقوم على الاعتقاد بأن الفرد ما هو إلا نتاج للبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها فهو يشكل وفقا لتأثير تلك البيئة عليه، ولذلك لا يهتم الاتجاه الاجتماعي كثيرا بدراسة العوامل الفردية التي لها علاقة بالانحراف وإنما يركز أصحاب هذا الاتجاه على دراسة العوامل الخارجية.

وقد ظهر هذا الاتجاه على أيدي علماء الاجتماع الغربيين وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية منبثقا من جذور عريقة مشيرا هذا الاتجاه إلى دراسة السلوك الاجرامي بوجه جديد بالتركيز على أن الجريمة مصادر اجتماعية وأنها ليست سلوكا يحدث بمنعزل عن العوامل الخارجية عن اطار الفرد (ناصر ميزاب، 2005، صفحة 200).

يعتبر كل من العالم الفرنسي " جيري " والعالم البلجيكي " كيتلي " الرواد الأوائل للمدرسة الاجتماعية ولقد أطلق على مدرستهما اسم المدرسة الجغرافية ثم أعقبها بعد ذلك المدرسة الاشتراكية وتطرق إلى دور العوامل الجغرافية والبيئية في طبائع الناس، قبل هؤلاء نجد المؤسس الأول لعلم الاجتماع " عبد الرحمن بن خلدون " حيث أن في نظره أن للبيئة الطبيعية تأثير في ذلك حيث يؤكد أنه يطرأ على العمران تغيرات مماثلة لتغيرات البيئة التشكيلية، أما العمران البدوي في نظر العلامة " ابن خلدون " مرتبط بالبادية التي تعني المساحة الموجودة خارج تشكل عمرانها طريقة حياة البادية سواء كانت هذه الحياة مادية أو لا مادية.

ويرى " دوركايم " أن الجريمة وليدة المجتمع ولا توجد أسبابها وعواملها في الفرد المجرم حيث أن هذا الفرد من صنع المجتمع بذاته و يتحدد السلوك الاجرامي على أساس درجة من الترابط والتضامن بين أفراد المجتمع الواحد فتزداد الجرائم كلما كانت روح التضامن ضعيفة، والعكس صحيح.

كما أن السلوك الانحرافي يبرز مواطن الخلل في السياج الاجتماعي والثقافي الذي يعيش خلاله الفرد في المجتمع ونجد المدرسة الاجتماعية قد تأثرت إلى حد كبير بفكرة الثقافة التي أشار إليها " دوركايم "، " سوترلاند "، " سيلين " وقد ظهرت اتجاهات لصياغة نظريات عامة لتفسير السلوك الانحرافي وتحديد عوامله و أسبابه، واعتمد أنصار هذه الاتجاهات على المادة العلمية الواقعية التي انتهت إليها البحوث والدراسات المختلفة لصور الفعل الاجرامي وبناء على ذلك ظهر عدد من النظريات الاجتماعية في دراسة السلوك الاجرامي أهمها:

1.3.5. نظرية الاضطراب الاجتماعي:

حيث ظهرت بظهور المرجع الأساسي لكل من " وليام توماس " و " فلوريان زنانيكي " فحسب هؤلاء أن قدوم المهاجرين للولايات المتحدة الأمريكية وتجمعهم بالأحياء الفقيرة، يحتم عليهم التعايش فيها كجماعات متناقضة مما نتج عنه صراع ثقافي بين ثقافات هذه الجماعات الواردة فيما بينها، وبين ثقافة المجتمع الأمريكي الأصلي نتج عنه عدم تراضي في المعايير و هذا ما خلق تناقضا وجدانيا واهتزاز في الأخلاق الشيء الذي شجع انتهاك المعايير، مما أدى إلى ضعف عملية التثاقف آليا نتج عنه أفراد دون مراجع ثقافية (جلال الدين عبد الخالق، 1999، صفحة 196).

2.3.5. نظرية صراع الثقافات:

على غرار النظريات السابقة تقول هذه النظرية أن تساكن الثقافات مع بعضها البعض...إلا أنها عكس نظرية الاضطراب الاجتماعي أعطت تفسيرا آخر لهذا التساكن من حيث أنه صراع بين الثقافات (ناصر ميزاب، 2005، صفحة 148).

يذهب في ذلك " ثورستين سيلين 1938" إلى أن الصراع يظهر نتيجة لتعايش ثقافتين، احداهما تسمح بسلوك وأخرى تمنعه، ذلك إن معدلات الجريمة والانحراف في التجمعات البشرية ما هي إلا انعكاس للتباين الثقافي بين الجماعات الأولية التي ينتمي إليها أفراد تلك التجمعات البشرية، أي أن كل فرد يرتبط بمجموعة من الوحدات تقوم على معايير سلوكية يلتزم الفرد بها مقابل انتمائه لتلك الوحدة (الأسرة، جماعة المدرسة، جماعة العمل، جماعة اللهو). وكلما تعددت الجماعات التي ينتمي إليها الفرد ازدادت المعايير التي يطالب بالالتزام بها، وتعددت فرص انعدام الانسجام بين المعايير السلوكية لتلك الجماعات، مما

يؤدي إلى تناقض أو صراع داخلي لدى الفرد قد يؤدي به إلى التخلي عن بعض تلك المعايير مما يؤدي به إلى الانحراف في نظر الجماعة التي تخلى عن معاييرها .

غير أن هذه النظرية تبقى ضيقة في تفسير الظاهرة، مما جعل " البير كوهين " يقترح توسيع هذه النظرية بالإضافة ليس فقط المعايير القديمة النابعة من الأسرة، بل كذلك معايير المراهقين النابعة من الجماعات العمرية المتقاربة والمناقضة للسيطرة الأبوية.

وهكذا ترى هذه النظرية أن المراهق إذا انتهك معايير الكبار، فلأنه مدعم بثقافة المراهقين، وهذا ما يشجع على ظهور الجنوح.

وتذهب هذه النظرية إلى أن القول بالصراع الثقافي بين الأجيال غير أنه إذا صح هذا في المجتمعات الغربية التي تبنى كل أفكارها على الصراع، فإن الثقافة الاسلامية لها بذور صراع الأجيال مثل ما هو عند الغرب، بل تتكامل الأجيال فيما بينها أكثر من أن تتصارع (هذا الكلام يحتاج إلى تحقيق علمي في الثقافة الاسلامية) ولذلك تظهر هذه النظرية عجزا الشيء الذي يجعل تعميمها على كل الثقافات أمرا قد ينوب بالخطأ (جلال الدين عبد الخالق، 1999، صفحة 190).

انتقدت هذه النظرية حيث أنها قصرت اهتمامها على متغيرات خارجية هاملة بذلك العوامل الداخلية (النفسي منها أو العضوي) حيث تناسى أصحاب هذه النظرية أن العوامل الاجتماعية تنعكس آثارها على التركيبة الذاتية للفرد ونفسيته أو عضوية، وعلى أي حال دعت مثل هذه الانتقادات بعض العلماء لتطوير أفكارهم ليقدموا طروحات تهدف إلى تفسير الانحراف من خلال التأليف بين الجانب النفسي، العضوي والاجتماعي.

6. الاجراءات الوقائية لانحراف الأحداث:

- الوقاية خير من العلاج، ولهذا يقتضي على المجتمع بأسره بذل الجهود لضمان سلامة النشء مع احترام شخصياتهم وتعزيزها منذ نعومة أظافرهم.

- ينبغي على الدولة الاهتمام الخاص بأطفال الأسر التي تعاني من المشاكل الناجمة عن التغيرات السريعة والمفاجئة التي تعترض حياتهم، وفي حالة تأزم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وذلك باتخاذ الاجراءات التي من شأنها وضع مخطط مبتكر وبناء اجتماعيا تضمن من خلاله التنشئة الاجتماعية السليمة للأطفال.

– يجب اتخاذ تدابير واستحداث برامج تتيح للأسرة فرص الإلمام بالدور المنوط على الأبوين وواجباتهما تجاه الأبناء فيما يتعلق بتنشئتهم ورعايتهم، بحيث تتعزز العلاقات الايجابية بينهما، مما يسمح للآباء بالاطلاع على المشاكل التي يواجهها أبنائهم.

– الاهتمام بالمنظومة التربوية واثرائها بالأنشطة التي من شأنها أن تولي الطفل اهتماما خاصا .

– ينبغي أن يوضع جهاز رقابة يسهر على تقديم المساعدة للأطفال الذين يواجهون صعوبة في الوصول إلى المدرسة ومزاولة الدروس اليومية، وخاصة من ينقطعون عن الدراسة.

– توفير الجو العاطفي الايجابي للطفل داخل المدرسة، وتجنب المعاملة التي تسيء إلى نفسيتهم لا سيما من هم في سن المراهقة.

– تجنب استعمال الطرق التأديبية القاسية خاصة منها البدنية واللفظية البذيئة.

– تعزيز شخصية الطفل من خلال تنمية مواهبه وقدراته العقلية والبدنية إلى أبعد حدودها.

– تلقين الطفل القيم الأساسية لهويته وأنماطه الثقافية وعاداته وتقاليده المختلفة.

خاتمة:

يمكننا القول أنه لا يوجد سلوك انحرافي بدون سبب تحت مبدأ الكل المتضامن، أي لا يمكن تفسير مستقبل الانحراف بمبدأ أحاي وهذا ما خلصنا إليه من خلال القراءة السوسيولوجية لأبرز نظريات علم اجتماع الجريمة المفسرة للانحراف لتفسير العوامل التي تصنع الانحراف كل بحسب الاتجاه الذي ينتمي إليه، فهناك من يرى أن السلوك الانحرافي راجع لعوامل بيولوجية ويعد فطريا وموروثا، ومنهم من فسره على أساس الحدث نفسه، واعتبر هذا ذات أسباب نفسية محضة، وآخرون يعتبرون السلوك الانحرافي ناتج عن العديد من الظروف الاجتماعية والبيئية.

وأخيرا تم استعراض التصور الوقائي الذي يساعد على الابتعاد عن السلوك المنحرف، وربط مسؤولية الحدث بمهمة الجميع.

قائمة المراجع:

1. robert paul .(1982) .le petit robert1 .lr(1 mai1995).

2. الدوري عدنان. (1991). الانحراف الاجتماعي: دراسة في النظريات والمشكلات ذات السلاسل. الكويت.

3. جلال الدين عبد الخالق. (1999). الجريمة والانحراف الحدود والمعالجة. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

4. جمال معتوق. (2008). مدخل إلى علم الاجتماع الجنائي. الجزائر: دار بن مرابط للنشر والطباعة.

5. سامية محمد جابر. (1981). الانحراف الاجتماعي بين نظرية علم الاجتماع والواقع الاجتماعي. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

6. سليمان العيد. (1421هـ). وقاية الأولاد من الانحراف من منظور اسلامي. المجلة العربية للدراسات والتدريب، 14(28).

7. عبد الرحمان العيسوي. (1984). سيكولوجية الجنوح. بيروت: دار النهضة العربية للنشر.

8. عبد المجيد لبصير. (2010). موسوعة علم الاجتماع ومفاهيم في السياسة والاقتصاد والثقافة العامة. الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.

9. عدنان الدوري. (بلا تاريخ). الانحراف الاجتماعي: دراسة في النظريات والمشكلات.

10. علي بن هادية وآخرون. (1979). القاموس الجديد للطلاب. تونس: الشركة التونسية.

11. علي مانع. (1996). جنوح الأحداث والتغير الاجتماعي في الجزائر المعاصرة. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

12. عيمر زهيرة. (2012). التحليل السوسيولوجي لأثر غياب الأب عن نمو ظاهرة انحراف الأحداث: مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، جامعة جيجل.

13. محمد الرازي. (1401هـ). مختار الصحاح مادة حدث. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

14. محمد السيد أبو النيل. (1998). علم النفس الاجتماعي، دراسات عربية وعالمية. بيروت: دار النهضة.

15. محمد سند العكايلة. (2006). اضطرابات الوسط الأسري وعلاقته بجنوح الأحداث. عمان: دار النشر والتوزيع.

16. ناصر ميزاب. (2005). مدخل إلى سيكولوجية الجنوح، محددات تناولات نظرية، استراتيجيات، وقاية والعلاج. الجزائر: دار المعرفة الجامعية.

17. نظير فرج مينا. (1985). الموجز في علمي الاجرام والعقاب. الجزائر: دار النشر للمطبوعات الجزائرية.

18. نعامة سليم. (1985). سيكولوجية الانحراف. بيروت: مؤسسة الرسالة.

19. علي بن هادية وآخرون . (1979). القاموس الجديد للطلاب. تونس: الشركة التونسية.